إهـــــداء

إلى روح الحبيب المحبوب..

أهدي إليك تحليلاً لقطرة من بحر خُلقك العظيم، لعلي أنال شربة من كوثرك وأنعم بقربك في جنات النعيم.

obeikandl.com

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، عدد خلقه،ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه. والصلاة والسلام على المصطفى من الخلق ، ليكون رحمة للعالمين ، حبيبنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، صلاة يغبطنا بفضلها الأولون والآخرون، وتؤهلنا لأن نكون من خاصة المحبوبين لديك ولديه يا رب العالمين.. آمين.

أما بعد.. فقد بعث الله (تبارك وتعالى) رسوله محمدًا (صلى الله عليه وسلم)، والناس يغوصون في بحور الجهل والصلف والفظاظة، التي تجعل أعتى الحروب تنشب لمجرد زلة لسان، أو خلاف في رأي.. جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) ليخرج الناس من ظلمات تلك البحور إلى نور المعرفة والتحضر برسالة خاتمة إلى العوالم كافة.

ولأن رسالته جاءت ليستقيم بها أمر الوجود فإنها تشكل تنظيمًا سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا للبشر جميعًا، وليس محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيًا هاديًا فحسب، بل هو سراج منير، يهتدي به ويستضيء بنور سنته كل من أراد أن يسلك طريق الحق إلى يوم القيامة.

أحق هذا، أم مبالغة، أم مجرد جميل كلام؟

يقول الله (عز وجل) في وصف الشمس:

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾.[1]

ويصف القمر فيقول (تعالى):

﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾. [2]

ويصف الشمس والقمر في آية واحدة، فيقول (تعالى):

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.[3]

١- سورة النبأ، الآية رقم ١٣.

٢- سورة الفرقان، الآية رقم ٦١.

٣- سورة نوح، الآية رقم ١٦.

openkanar.com

الشمس سراج والقمر نور.. من يشك في أن الشمس التي وصفها خالقها بأنها سراج ستظل تعطي ضياءها إلى يوم القيامة؟

.. لا أحد.

ومن يشك في أن القمر الذي وصفه خالقه بأنه نور سيظل يعطي نوره إلى يوم القيامة؟

.. لا أحد.

إذًا لماذا تشكون فيمن جمعت له الصفتان أن نوره قد اقتصر على زمنه؟

ألم يقل الله (سبحانه وتعالى):

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾. (١)

سراج منير.. الشمس سراج، والقمر منير، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) سراج منير. كيف يستمر نور من أخذ جزءًا، ويتلاشى نور من كمل له العطاء؟

أُشهد الله أني لم أقل ذلك على سبيل الإطالة، ولم يكن في نيتي أن أكتب هذا الكلام في مقدمتي، بل لقد فتح الله به عليَّ فيَّ حينه، ربما لأني أردت أن أقول: إن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) نور دائم مستمر.. للحاكم، والقائد، والمعلم، والمتعلم. وقد أرشدنا الله (تبارك وتعالى) إلى أنه خير دليل وخير قدوة وخير أسوة فقال (عز وجل):

"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا".(٢)

ولمن هذه القدوة؟

لقد قال الله (عز وجل): "لكم"، أي لجميعكم،ولم يستثن أحدًا ممن يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا. فإذا كان (صلى الله عليه وسلم) قدوة حسنة للجميع، فهل يعقل أن يريد أحد أن يقتدي به في سلوك من مسالك الحياة ولا يجد القدوة؟

.. لا.

١- سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ ، ٤٦.

٢- سورة الأحزاب، الآية رقم ٢١.

obeikandi.com

إنه قدوة في العبادة، قدوة في الأخلاق، قدوة في السلوك، قدوة في الحديث، قدوة في الحوار، قدوة في القيادة، قدوة في السلم، قدوة في الحرب... قدوة في كل شيء (صلى الله عليه وسلم).

وأحب أن أشير هنا أنه لا يجب أن يتوهم واهم أن ما عُرف حديثًا من مستحسنات هي من استحداث البشر، ولم تكن معروفة أو مقصودة في سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو الذي وضع القواعد الحسنة لكل سلوك وخلق وأدب... ولم لا، وقد أدبه ربه خالق البشر السابقين والحاليين واللاحقين، وقال عنه:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۞إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾.[1]

وبالتالي لابد أن يصل إلى ذروة الفطرة القويمة، والبديهة النافذة، والنظر الثاقب السديد، فيمدحه خالقه ومؤدبه فيقول (عز وجل):

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[2]

أبَعْدَ ذلك نتأسى بخُلق غيره؟

لقد تأسى من حوله بخُلقه، وتشبعوا به فوصلوا إلى ذروة السمو الأخلاقي، فلانت لهم القلوب، ورضخت لهم العقول، وانقادت لهم الأبدان، ففتحوا البلاد، ومدنوا أهلها، وأعلوا صرح دينهم، فرآه من يسكن مشارق الأرض ومغاربها.

ومن يريد أن يتأكد من عدم المبالغة في القول أو زخرفته، فليقرأ كتب التاريخ...

ثم، ألم يشهد بذلك شاهد من أهلها؟

لقد جاء في دائرة المعارف البريطانية (Encyclopedia Britannica) الطبعة الحادية عشرة:

"كان محمد أشهر الشخصيات الدينية العظيمة، وأكثرها نجاحًا وتوفيقًا.ظهر النبي في وقت كان العرب فيه قد هووا إلى الحضيض، فما كانت لهم تعاليم دينية محترمة، ولا مبادئ مدنية أو سياسية أو اجتماعية، ظهر محمد فحول أبناء العرب الذين كانوا

١- سورة النجم، الآيتان ٣ ، ٤.

٢- سورة القلم، الآية رقم ٤.

أنصاف برابرة إلى طريق الهدى والفرقان، فسموا بفعل الإسلام إلى ذروة السمو الأخلاقي، وتثقفوا بعلوم الإسلام التي فاض خيرها على العالم أجمع في ذلك الوقت"؟

أين الموروثات؟ أين الكنوز؟ أين الدرر؟

لقد ترك المسلون موروثات رسولهم (صلى الله عليه وسلم) فعلاها تراب البُعد الذي أمسى جبالاً رانت على قلوبهم، حتى أنهم لا يصدقون أن تحت هذه الجبال تلك الدرر، ولا يريدون أن يكلفوا أنفسهم عناء إزالة هذه الجبال والبحث عنها، فاستكانوا ينظرون إلى ما في أيدي غيرهم، يمدحون معادنهم ويندهشون لها، ويقولون: والله إنها لنعم الدرر.

وإذا كان كثير من العلماء والباحثين المسلمين قد بينوا الدرر التي جاءت في القرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع الحوار، فإنني سأركز في كتابي هذا على ما جاء بخصوصها في سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ حتى يفقه الجميع عندما يتلافظون مع آخرين يختلفون عنهم في أمور قد تكون قليلة أو كثيرة _ أهم يتحاورون، أم يتناقشون، أم يتخاصمون، أم يتجادلون، أم يتعادون..؟ وخصوصًا في زماننا هذا الذي يُجاء فيه _ لغرض ما _ بأيٍ ممن يستطيع أن ينطق؛ ليتحاور في وسائل الإعلام وعلى شاشات الفضائيات، وهو في الحقيقة يقدم شيئًا دنيئًا، تنتشر عدواه على نطاق واسع، لكنه لا يمتُّ إلى الحوار الحق البليغ بصلة.

وعندما يكون لي شرف التنقيب عن درر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما يتعلق بالحوار وإخراجها، وإزالة ما عليها من شوائب الإهمال، فليس مقصدي هو مجرد إخراجها للفخر بها، بل إن مقصدي يتمثل في ثلاثة أشياء:

أولاً- إثبات أن الأسس القويمة للحوار قد وضعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل أن يتشدق بمعرفتها المتشدقون بأكثر من أربعة عشر قرنًا.

ثانيًا- أن أقول لإخواني المسلمين: ارجعوا إلى موروثاتكم واعرفوها، وعندما تطبقونها سوف ينمحي من صدوركم الاستعداد للتنازل عنها، بل ستفخرون بها أمام غيركم، لأنكم ستتأثرون وتؤثرون بها إلى ما هو أفضل.

ثالثًا- أن أقول لإخواني البشر غير المسلمين، الناطقين بالعربية- وغير الناطقين بها-إن أتيحت فرصة ترجمة هذا البحث-: معذرة، لقد تركنا دررنا، فصار حالنا كما ترون، وإني أحث المسلمين على أن يفيقوا، لتروا بين أيدينا تلك الدرر،

فنسعد نحن بها، وتسعدون أنتم كذلك، فالخير يسعد الجميع، والجمال يرضي الجميع.

أما بعد.. فإن بحثي هذا يشتمل- بعد المقدمة- على ستة فصول:

الفصل الأول: يقدم تعريفات للمفاهيم التي تتصل بالموضوع، فيقدم تعريفًا للفقه، والبلاغة، ثم تعريفًا للمناقشة والخصومة، والجدل، والعداء، ثم تعريفًا للاختلاف، وبيان أصله، وأسبابه، وأنواعه، ثم تعريفًا للحوار، وأنواعه. ثم تعريفًا للسنة النبوية.

obeikandl.com

الفصل الثاني: يتناول أهداف الحوار.

الفصل الثالث: يتناول الأسس الإيجابية للحوار.

الفصل الرابع: يتناول السلبيات التي تؤدي إلى إفشال الحوار.

الفصل الخامس: يتناول وسائل الحوار.

الفصل السادس: يتناول الآثار الحميدة للحوار المبني على أسس وضوابط والنتائج السلبية لغيابه.

ثم بعد ذلك تأتي التوصيات والخاتمة.

ويبقى أن أوضح نقطتين مهمتين:

الأولى: إن الأسس الخاصة بالحوار مع المخالف هي واحدة، فلا يجب أن نقول إن هناك أسسًا للحوار مع المسلم وأسسًا للحوار مع غير المسلم، فيجب أن تتوافر لدى المحاور الناجح كل الأسس الخاصة بالحوار، وهو في حواره مع المسلم أو غير المسلم ينتقي منها ما يناسب طبيعة الطرف الآخر وطبيعة الموقف، وهو قد يخلط ما بينها أو يختار أسلوبًا ويترك الآخر، أو يستعمل أسلوبين أو أكثر.. وذلك كله حسب طبيعة الحوار، فالمحاور كالداعية أو الفقيه، يأتيه البَّرُ ويأتيه الفاجر، وهو فقيه عالم بكل المسائل، ثابت لا يتغير، ولكنه يعطي لهذا ما يناسبه، ويعطي لذاك ما يناسبه أيضًا.ولا ينبغي أن يعرف عن المسلمين أنهم يتعاملون بأسس في الحوار مع المسلم تختلف مع غير المسلم، فالمسلمون قواعدهم وأسسهم واحدة، وعهدهم واحد، وأمانتهم واحدة، وذمتهم واحدة، لديهم ميزان واحد، يوضع فيه كل الخلق، فيظهر ثقيل الوزن وخفيفه.

فماذا إن جاءني مسلم جاهل أو فاجر، ثم جاءني غير مسلم واعٍ عالم هادئ؟

أأتعامل مع هذا بأسس الحوار مع المسلم، وأتعامل مع الآخر بأسس الحوار مع غير المسلم؟

.. لا.

إنما يجب أن تكون لدىَّ كل الأسس والأساليب والاستراتيجيات الخاصة بالحوار، ثم أنتقي منها ما يناسب المقام.

obeikandi.com

إن العدل يقتضي منَّا ذلك.

جاء في كتاب "قوانين الوزارة وسياسة الملك" ضمن كتب "مرايا الأمراء والملوك":

"لن تحقق مرادك إلا بالعدل والإحسان، فالعدل استثمار دائم، وهو عدل في الأموال، تؤخذ بحقها، وتدفع إلى مستحقها، وعدل في القول لا تخاطب الفاضل بخطاب المفضول، ولا العالم بخطاب الجهول، وتقف في الحمد والذم على حسب الإحسان والإساءة، وعدل في الأفعال، ألاَّ تعاقب إلا على ذنب، ولا تعفو إلا عن إنابة، ولا يبعثنك السخط على إطراح المحاسن، ولا يحملنك الرضا على العفو عن المساوئ".[1]

والنقطة الأخرى، أنني إذا علقت على حوار، وأظهرت أدبه فلن أشير إلى الناحية البلاغية فيه، وذلك للأسباب الآتية:

- إن هذا الأمر لا يمثل نقطة مهمة في موضوعنا.
- البعد عن التطويل دون هدف.
- بخصوص كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد أوتي جوامع الكلم، وهو أفصح الناس وأبلغهم، وهذا ثابت ومعروف. وبخصوص الصحابة والسابقين من العرب المسلمين وغير المسلمين، فإن قدراتهم في اللغة- أيضًا- معروفة، ويكفي أن القرآن تحداهم في موضوع اللغة، وما كان ذلك إلا لمهارتهم في لغتهم.

وأسأل الله أن ينفعني بهذا الكتاب، وينفع به كل من قرأه، ويجزيني ويجزيهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة، ويجزي عني وعن المسلمين، وعن العالمين..الأستاذ الأعظم، والمربي الأفضل.. محمدًا (صلى الله عليه وسلم) أفضل ما جازى به رسولاً عن أمته... آمين.

١- موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، (الإدارة المحلية العربية الإسلامية).

obeikandl.com